بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة جمعة / جامع السديري / ١٠/٨/١٤١٧ هـ

الملز :٨/١١/١٤١٨هـ

الاقتداء

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين ، والصلاة على المبعوث رحمة للعالمين وقدوة للخلق أجمعين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

عباد الله اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون } .

عباد الله لو تأملنا أعمالنا لوجدنا أن كثيراً منها جاء من الاقتداء ، والاقتداء غريزة تكمن في نفوس البشر ، ولكن الناس يختلفون في قدوة كل منهم ، منهم من يكون له قدوة حسنة ، ومنهم من يكون له قدوة سيئة ، فتأمل مثلاً حال الرجل الذي اطلق لحيته وقصر ثوبه ، وحسن خلقه ، وحرص على طاعة ربه ، من هو قدوته ؟ وتأمل آخر إذا مر بك في سيارته صمت أذنك من الأغاني الغربية ، ولا يرتاح إلا بلبس الجنز والقبعة ، وربما لبس السروال القصير وساربه في الشارع أو بعض المنتزهات ، هذا وأمثاله من هو قدوته ؟

وتأمل إن شئت تلك الفتاة التي لا تغادر بيتها إلا لحاجة ماسة ، وإن خرجت خرجت خرجت محتشمة ، مبتعدة عن مخالطة الرجال ومحادثتهم ، من هي قدوتها . وتأمل حال تلك الفتاة التي تتعذر بالخروج لأتفه الأسباب ، وإذا أرادت الخروج بادرت إلى لبس البنطلون والقميص وأخفتهن تحت عباءتها تحت تغادر منزلها وتختفي عن نظر ولي أمرها ، وإذا وصلت إلى السوق أشغلت نفسها بعابئتها مرة تفتحها وأخرى تغلقها بحجة إصلاحها ، لا ! ولكن حتى ترى ملابسها ، هذه وأمثالها من هي قدوتها ؟

إن أخذ الأمور على علاتها وتقليد الآخرين دون تمحيص وتجريد يؤدي بالشباب والفتيات إلى البعد عن الحقيقة ، وفقدان الهوية ، وذوبان الشخصية الإسلامية ، لذا اجتمعت على الشباب وسائل الغرب ومغرياته ، لتصوغ منهم شباباً لا يعرف نفسه ، ولا يستطيع تحديد وجهته ، فتقودهم إلى التبعية التي تفسد عقيدتهم ، وتمحو شخصيتهم ، وتضر بأمتهم .

والتقليد الضار من الأمور التي يرفضها الإسلام رفضاً قاطعاً . لذا نعى القرآن الكريم على الكافرين تقليدهم لآبائهم أو ساداتهم دون فكر وروية ، وإعمال عقل فيما يقولون أو يفعلون ، ومن الآيات التي تدل على ذلك قوله سبحانه {وإذا قيل اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون}[1] .

كما حذر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كما في سنن الترمذي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا» .

والتبعية العمياء صفة من صفات الجاهلية ، كما يقول في دريد بن الصمة :

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

والتبعية العمياء مموقتة حتى ولو كانت تبعية للآباء والأجداد ، أو القبيلة والعشيرة ، فكيف إذا كانت تبعية للأعداد كأعداء هذا الدين .

عباد الله ، ولما كانت القدوة حاجة ملحة تحتاجها النفس البشرية فإن الله سبحانه وتعالى من منه وكرمه جعل لهذه الأمة خير قدوة عرفتها البشرية على مدار التاريخ ، جعل لها رسوله الأمين وسيد الخلق أجمعين ، فقال سبحانه { لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً } .

([1]) سورة البقرة ، الآية ١٧٠ .

فقد جمعت حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) بين الأعمال الصالحة ، والأخلاق الفاضلة ، والعواطف النبيلة المعتدلة ، والعادات الحسنة، فكل إنسان مهما كانت حاله ، ومهما كان عمله يجد له من حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قدوة كاملة وأسوة حسنة .

فأنت أيها المسلم تجد فيه قدوتك في عبادتك ، وقدوتك في معاملتك ، وقدوتك في خلقك ، وقدوتك في ملبسك ، وقدوتك في مأكلك ومشربك . مهما كانت حالك وعلى اختلاف أطوار حياتك .

فإن كنت أخي المسلم غنياً مثرياً فاقتد برسولك (صلى الله عليه وسلم) وهو يعطي عطاء من لا يخشى الفقر . وكان (صلى الله عليه وسلم) أعظم الناس صدقة بما ملكت يده ، وكان لا يسأله أحد شيئاً عنده إلا أعطاه إياه ، وكان فرحه وسروره بما يعطيه أعظم من سروره بما يأخذه ، وكا ن أجود الناس بالخير ، ويمينه كالريح المرسلة . وكان إذا عرض له محتاج آثره على نفسه ، تارة بطعامه ، وترة بلباسه ، وكان ينوع في أصناف عطائه .

وإن كنت فقيراً معدماً فلك في حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أسوة حسنة وهو محصور في الشعب صابراً محتسباً راضياً بما كتب الله له ، وكذلك حاله حين قدم المدينة مهاجراً من مكة لا يحمل من حطام الدنيا شيئاً . وحتى في المدينة يمر عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار .

وإن كنت معلماً فتتبع أحواله وهو يعلم أصحابه (رضي الله عنهم) ، فقد كان يحثهم على الخير ويعينهم عليه ، ويحذرهم من الشر ، ويبعدهم منه ، ويخاطبهم على قدر عقولهم ، ولا يكلفهم ما لا يطيقون ، وكان يشجعهم في مواطن التشجيع ، ويؤاخذهم في مواطن المؤاخذة ويعطف عليهم في مواطن العطف ، ويشتد عليهم في مواطن الشدة .

أما أنتم ياطلاب المدارس والجامعات فلكم أيضاً من حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نصيب عندما كان يجلس جاثياً مسترشداً بين يدوي جبريل عليه السلام بأدب وإصغاء ، وحرص على الاستيعاب .

وإن كنت شاباً فاقرأ سيرته النزيهة الطاهرة في شبابه وبعده عن لهو الناس ، وما اعتادوه من باطل ، حيث كان في شبابه وقبل بعثته في قومه أفضلهم مروءة وأحسنهم خلقاً ، وأصدقهم حديثاً ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم عن الفحش والبذاءة ، وماكان يقترف ما لا يليق بشأنه : واصلاً للرحم حاملاً لما يثقل كواهل الناس مكرماً للضيف عوناً على البر والتقوى ، وكان يأكل من عمل يده ويقنع برزقه .

وإن كنت زوجاً فتأمل سيرته مع أزواجه فقد كان معهن حسن المعاشرة حسن الخلق ، وتأمل حاله مع عائشة (رضي الله عنها) فقدا إذا هويت شيئاً لا محذور فيه تابعها عليه ، وإذا شربت من الإناء أخذه ووضع فمه في موضع فمها وشرب ، وسابقها في السفر مرتين ، وكان إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ، فأيتهمن خرج سهمها خرج بها .

وإن كنت أباً لأولاد فتعلم ماكان عليه ووالد فاطمة ... وجد الحسن والحسين ، من العطف عليهم والرحمة والحرص على تأديبهم ، ولم تشغله واجبات الرسالة على ضخامتها عن رعايتهم .

وأيا ما كنت وفي أي شأن من شأنك ، فإنك مهما أصبحت أو أمسيت ، وعلى أي حال بت أو أضحيت ، فلك في حياة محمد (صلى الله عليه وسلم) هداية حسنة وقدوة صالحة تضيء لك بنورها دياجي الحياة ، ويتجلى لك بضوئها ظلام العيش .

{لقد كانت لكم في رسو الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً} .

الخطبة الثانية

فهذه حياة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) جعاله الله سبحانه وتعالى أموذجاً عملياً حياً يسير عليها من تاسعادة في دنياه والفلاح في أخراه ، فكيف يليق بالمسلم الذي شرفه الله باعتناق هذا الدين أن يترك هذه السيرة العطرة ، هذه السيرة النزيهة إلى سيرة غيره من البشر ، واتباع سيرته وانتهاحج نهجه دليل على محبة الله سبحانه وتعالى كما في قوله سبحانه {قل إن إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله} وقوله (صلى الله عليه وسلم)

«فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» .